درجات ... لا دركات

يقول الله (عز وجل): ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

على غرار كتاب «الأيام» لطه حسين.. ألف نجيب محفوظ كتاب «الأعوام». ولكنه مزق كتابه هذا قبل أن يدفع به إلى المطبعة.. لأنه وجد نفسه قد تأثر بطه حسين أكثر من اللازم.. والمفروض أن تبقى له شخصيته المستقلة.. والتي لا ينبغي أن تذوب فيمن يحب!

فالحبيب لا يعني بالضرورة أن يكون تابعًا.. أو نسخة مكررة ممن يحب..

وقديمًا قالوا:

إن صديقك الحق.. من صَدَقك

لا من صدَّقك!!

وويل للذين يحملون الأقلام.. ثم لا يعبرون عن ذواتهم.. ولا عن واقعهم!

●●●

ذكرت هذا.. وأنا أتأمل الآية الكريمة وقلت: أجل إن للرجل درجة على المرأة:

(فالرجل يزيد على المرأة بدرجة من ثلاث:

وأن كل امرأتين بمنزلة رجل).

وصحيح أنه الأصل.. لكن ذلك لا يعني إلغاء شخصية المرأة التي يجب أن تظل شخصية مستقلة وإن كان هو سيد البيت.. فليس من مصلحة

الأسرة أن يكون الرجل هو الحاكم بأمره بينما تظل هي صفرًا على الشمال!

●●●

مسوغات الفضل

ولا يزيد الرجل درجة.. من فراغ.. وإنما لهذا التفضيل مسوغاته.. من طبيعة الرجل وطبيعة المرأة معًا.

أما عن طبيعة المرأة.. فنقرأ:

وما الحلي إلا زينة من نقيصة ... يتمم من حسن.. إذا الحسن قصَّرا

وأما إذا كان الجمال موفرًا ... كحسنك.. لم يحتج إلى أن يزوّرا

فالمرأة تنشأ في الحلية التي هي جبر لنقصها..

ثم هي في الخصام لا تبين:

بنفسي وأهلي من إذا عرضوا له ... ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب

فلم يعتذر عذر البريء.. ولم تزل ... به سكتة.. حتى يقال مريب

وصدق الله العظيم: ﴿أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]. وقد فهم المفسرون من قوله تعالى:

﴿وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]:

«أن الكامل في وصفه وقوته. وخلقته. يناسب حاله أن يكون قائمًا على الضعيف الناقص خلقة.

ولهذه الحكمة جعل ميراثه مضاعفًا على ميراثها:

لأن من يقوم على غيره.. مترقب النقص.

ومن يقوم عليه غيره.. مترقب للزيادة.

وإيثار مترقب النقص على مترقب الزيادة ظاهر الحكمة).

●●●

جاء في أضواء البيان - جـ١/ ٢٢٠:

إن (الرجل أفضل من المرأة:

وذلك لأن الذكـورة شرف وكـمـال. والأنوثة نقص خِلقي. طبـعي. والخلق كأنه مجمع على ذلك:

لأن الأنثى يجعل لها جميع الناس أنواع الزينة والحلي.

وذلك إنما هو لجبر النقص الخلقي الطبيعي. الذي هو الأنوثة.

بخلاف الذكر: فجمال ذكورته يكفيه عن الحلي).

●●●

يقول المفسرون أيضًا زيادة في الإيضاح وتقريرًا لقيمة العدل:

(حصول المنافع واللذة: مشترك بين الجانبين:

لأن المقصود من الزوجية هو:

السكن. والألفة. والمودة. واشتباك الأنساب.. وحصول اللذة.

وكل ذلك مشترك بين الجانبين.. بل يمكن أن يقال:

إن نصيب المرأة فيها أوفر.

●●●

ثم إن الزوج اختص بالتـزام المهر. والنفقـة . والدفاع عنها. والقـيام بمصالحها. ومنعها من مواقع الآفات..

فكان قـيام المرأة بـخدمـة الرجل آكـد وجوبًا. رعـاية لهـذه الحقـوق الزائدة)[1].

---

(١) «الرازي».

ما هي الدجة

(والدرجة هي:

البر. والإكرام. والتبجيل والطواعية للرجال.

وذلك أنه لما قدم أن على كل واحد من الزوجين للآخـر مثل ما للآخر عليه.. اقتضى ذلك المماثلة.. فبين (تعـالى) أنهما وإن تماثلا فيما على كل واحد منهـما للآخر.. فعليـهن مزيد إكرام وتعظيم لرجـالهن.. وأشار إلى العلة في ذلك وهي:

كـونه رجلاً يغـالب الشـدائد والأهوال. ويسـعى دائمًـا في مصـالح زوجته). اهـ

●●●

ولكننا نكرر ونقرر: أن هذه الدرجـة لا تذهب بما هو معلوم من الدين بالضرورة وهو: أن المرأة إنسان.. لها وضعها المرموق في المنظومة الأسرية.

لأن هذه الدرجة مفروضة بحكم مسئولية الرجل الإدارية والمالية.. ولا تمنحه تسلطًا يذهب بما قررته الآيات من تقدير لمواهبها..

إنها «درجات» لا «دركات»..

إنه «علو» و «تسام» في السلم الأسري.. ولا يلزم أن يكون مخصومًا من كرامة المرأة وعزتها..

بل إنه التكامل.. الذي يصير البيت به واحة من الأمان..

ومحضنا لجيل جديد يتحمل من بعد تكاليف الإيمان.

درجة التكليف... وليس التشريف

يقول الله (عز وجل): ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

الحديث عن الطلاق.. والعدة.. والتربص.. والنفقة.. الحديث عن هذه المعاني محرج للمرأة.. داخل بها في أفق من التوتر.. والضيق.. حين تزاور الشمس عن كهفها.. وبعد أن كانت بالأمس ملء السمع وملء البصر.. تصبح اليوم مخلوقًا ضعيفًا.. تلاحقها القلوب بالإشفاق.. وشعور الإشفاق موجع في عرف الأحرار.

لا سيما إذا جاء بديلاً عن مشاعر التقدير والاحترام..

ومن أجل ذلك.. وفي هذه اللحظات الحرجة بالذات. يوثق المولى (عز وجل) الوصية بالنساء في قوله (تعالى):

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

●●●

لكن ذلك لا يلغي حقيقة أن للرجال عليهن درجة.. وذلك قوله (تعالى):

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وكان المتوقع ـ بمنطقنا البشري ـ أن يقال: [ولهم عليهن درجة].. مثلاً.. ولكنه (عز وجل) يظهر في مقام الإضمار.. فيبرز خاصية الرجولة التي هي سبب في هذه الدرجة.

ذلك بأن الرجولة تعني: القوة.. وهكذا تقول اللغة:

يقال:

فلان أرجل الرجلين.. أي: أقواهما.

وفرس رجيل: قوي على المشي..

وارتجل الكلام: قوي عليه. من غير حاجة فيه إلى فكر وروية.

وترجل النهار: قوي ضوؤه.

●●●

وإذن فهي مـزية «الرجولة» على «الأنوثة».. لأن كونه رجـلاً يساوي كونه قيمًا على البيت كله.. بما فـيه الزوجة.. قوامة.. هي لصالح الزوجة أولاً.. والتي تعـيش في كنفه آمنة مـطمئنة.. يأتيـها رزقـها رغـدًا من كل مكان.

جاء في تفسير القرطبي:

(إن زيادة درجـة الرجل.. بـعـقله. وقـوته على الإنـفـاق. وبالدية والميراث والجهاد).

ثم يقول:

(ولا يخفى على اللبيب فضل الرجال على النساء. ولو لم يكن إلا أن المرأة خلقت من الرجل.. فهو أصلها. وله أن يمنعها من التصرف إلا بإذنه: فلا تصوم إلا بإذنه. ولا تحج إلا معه).

وقد حكى عن ابن عباس قوله:

(إن الدرجة إشـارة إلى حض الرجال على حسن العشـرة.. والتوسع للنساء في المال والخلق:

أي أن الأفضل ينبغي أن يتحامل على نفسه.

قال ابن عطية: (وهذا قول حسن بارع).

ونحن مع ابن عطيـة (رحمه الله) في الإعـجاب بما يقرره ابن عـباس (رضي الله عنهما):

لأنه يجعل من الدرجـة الزائدة.. تكليفًـا.. لا تشريفًا.. يؤكـد أنها ليست تعاليًا ولا تسلطًا.. وإنما هي: ضبط النفس في معاملة العشير. وإيثار التصرف الحـضاري مع رفيق العمر.. وإلا فلو حـاسبناها على كل كلمة.. وعاملناها بقـانون العدل دون التحـليق في أفق الإحسان.. مـا كنا جديرين بهذه الدرجة.. فقد استوى الماء والخشبة!

وإذا أردت مثالاً على ذلك.. فـتأمل بعض البيوت التي استنوق فـيها الجـمل.. والتي تنازل فيـها الزوج عـن هذه الدرجة.. فـتبـادل المواقع مع زوجته ثم نزل من عليائه.. لتصبح هي الآمرة الناهية!

إن هذا التفريط لون من الظلم نضع به الأمور في غير مواضعها.. ألا إنه «النشاز» في اللحن المتناسق.. ومن مصلحة الزوجـة نفسها أن تعود إلى موقعها.. لتتلقى الأوامـر من لدن رجل قادر على قيادة السفين.. وهو في نفس الوقت حاميها..

●●●

لقد منح الإسلام المرأة حقوقًا.. لتكون بحـقوقها تلك قوة تضاف إلى الرجل..

ولم يرض أن يتفـرد الرجل.. إلى حد إلغاء ذاتهـا.. ولا أن يستنوق الجمل.. فينهار البيت..

●●●

ولقد تجاهلنا ذلك تجـاهلاً معيبًا.. حـتى ظن أعداؤنا أن ذلك أثر من أثار ديننا..

ولكنه «القصور» في الفهم.. و«التقصير» في البلاغ..

ولم يبق أمامنا.. كما قال جمال الدين الأفغاني إلا أن يعلن المقصرون من المسلمين أنهم ليسوا مسلمين أوّلاً.. ليمكن للناس أن يدخلوا في دين الله ثانيًا!

●●●

رأي الإمام محمد عبده:

عقب الإمام على الآية الكريمة.. بالحديث عن درجة المرأة.. لا عن درجة الرجل؟!

وكأنه (رحمه الله) يتعمد طي الحديث عن درجة الرجل.. فهي ظاهرة بينة.. فضلاً عن كفاءته في الدفاع عنها.. ثم آثر التركيز على درجة المرأة.. لأنها مظنة الإهمال.. يقول:

(هذه الدرجة التي رفع النساء إليها لم يرفعهن إليها دين سابق.. بل لم تصل إليها أمة.. قبل الإسلام ولا بعده:

وهذه الأمم الأوروبية والتي كان من تقدمها أن بالغت في تكريم النساء واحترامهن.. لا تزال المرأة فيها دون هذه الدرجة التي رفعها الإسلام إليها.. ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها. دون إذن زوجها.

ذلك الحق الذي منحته الشريعة الإسلامية للمرأة منذ جاء الإسلام.. فلم تبح للرجل أن يأكل من مالها ـ فضلاً عن تملكه والتصرف فيه ـ إلا إذا كان عن طيب نفس منها:

﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ [النساء: ٤] وقد كان النساء في أوروبا منذ أمد بعيد بمنزلة الأرقاء في كل شيء.. كما كن في

عهد الجاهلية عند العرب.. أو أسوأ حالاً.. وقد صار هؤلاء الإفرنج الذين قصـرت أمنيتـهم ـ ولا أقول دينهم الذي جـاء به المسيح ـ عن شريـعتنا في إعلاء شـأن النساء.. صـاروا يفخـرون علينا.. بل يرموننا بالهـمجـية في معاملة النساء) أ. هـ

●●●

ويبـقى أن يـرتقي الخطاب الديني الـيـوم وغـدًا.. ليـؤكـد لهـؤلاء العاذلين.. أن ذلك الذي يرونه ليس أثرًا من آثار ديننا.. وإنما هو عوج في تصـرف السطحيين.. ممن يدينـون به.. لكن الإسلام شيء.. والمسلمـون شيء آخر!

الطلاق العاطفي!

يقول الله (عز وجل):

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

في خيالي صورة ذلك الصياد الماهر:

يحمل شبكته كل يوم.. ثم يرمي بها في البحر.. وحين تأتيه محملة «باللحم الطري» لا تلهيه البهجة بالرزق الحلال.. عن تنظيف الشبكة أولاً بأول.. من النفايات والطحالب.. حتى إذا حملها في اليوم التالي كانت صالحة للاستعمال.. ثم عاد بها إلى البيت.. أو إلى السوق منتشيًا متفائلاً.. بشبكته.. وبحرفته.

●●●

وتختفي هذه الصورة الفريدة.. لتستقبل المخيلة ذلك الصياد العاثر:

إنه يرمي بشبكته في البحر.. ثم يسرع في جمع ما حصّلت له في يومه.. لكن الفرحة الغامرة لا تترك له فرصة ينقي فيها شبكته.. من «النفايات واالطحالب» والتي تتراكم أو تتفاقم مع الأيام.. إلى الحد الذي يرهقها بما تنوء به من «فضلات» ثم لا يجد لديه قدرة ينزل بالشبكة إلى الشاطئ.. ولا يبقى لديه إلا أن يمزقها ليعود إلى البيت بخفى حنين..

وهكذا الزوج الفاشل:

فبينما زميله يلاحق التفاهات الصغيرة بالتنقية أولاً بأول.. ليظل البيت نظيفًا.. إذا به ينام عن حقله الذي تكبر فيه الصغائر يومًا.. ولا يكون هناك حل إلا أن يمزق العلاقة الزوجية.. ضاربًا بمصلحة الأسرة كلها عرض الحائط!.. يمزقها بالتنافر والشقاق.. وإن لم يكن بالفراق..

وقبل أن يقع الطلاق.. فما أكثر الادعاءات.. والافتراءات في تلك اللحظة.. التي تجعل من إحدى العلاقات الإنسانية.. بل قمتها هدفًا للقيل والقال. وكثرة السؤال.. حين يتجاوز الزوجان: أحدهما أو كلاهما «الخط الأحمر» أو حدود الله (تعالى).. فيهرف بما يعرف وما لا يعرف..

●●●

أجل.. قد لا يكون هناك طلاق من الناحية الشرعية العملية.. وإنما هو الطلاق العاطفي.. الذي يقطع الصلة بين الزوجين وإن كانا من الناحية الشرعية زوجين.. وكما تقرر ذلك الوثائق الرسمية.

●●●

وقد يعتصم الزوج في هذه الحالة «بدرجته» أو «برجولته» فيظلم الطرف الآخر.. ولكن الآية الكريمة تهز وجدانه هزًا بقوله (تعالى):

﴿.. وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وهي رسالة شديدة اللهجة إلى الرجل تقول له:

إن الله (تعالى) قد أعز الرجل بالعزة.. لكنها العزة الممنوحة له من قبل الله العزيز.. والذي أعار الرجل ثوب عزته وسطوته..

وإذا صرت بهذه الدرجة عزيزًا.. فحذار من الغرور والاستطالة.. وإلا حل بك العقاب. إذا أسأت استغلال هذه الدرجة لصالحك على حساب رفيق عمرك.

يقول ذلك.. تمامًا كما حذر المرأة من قبل.. بقوله (تعالى):

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. لقد كان ذلك ردعًا للزوجة بتذكيرها بالحساب يوم القيامة.. لأن من صالحها ـ كما يقول العلماء ـ (أن تطيل العدة أحيانًا..

وأن تقصرها أحيانًا أخرى . . فتحثها الآية الكريمة على إعلان الحقيقة بتعليق عدم الكتمان على الإيمان بالله واليوم الآخر).

●●●

فإذا كانت الآية تذكر المرأة . . حتى لا تكتم . .

فإنها وبنفس القوة تذكر . . حتى لا يظلم . .

وإنها تذكر من صفات الله (تعالى): عزته وحكمته:

عزته الغالبة . . والتي تثأر للضعيف . .

وحكمته البالغة . . الواضعة كل شيء في مكانه المناسب .

●●●

ثم هو في نفس اللحظة خطاب للمرأة يقول لها:

إنك إذا كنت في حماية الله العزيز . . فإن عليك أن تذكري أنه (تعالى) مع عزته . . فهو حكيم . .

ومسئوليتك تفرض عليك الإيمان بهذه الحكمة الإلهية . .

وأن ما وجد بعزته . . مشمولاً بحكمته . . فإنه مما يجب التسليم به، بل والاستسلام له... وفي ذلك من تسلية النساء ما فيه. وكما يقول المفسرون:

(إن الله فعل ما فعل لحكمة بالغة . .

وأن ما أوجده بحكمته . . وأتقنه بحكمته . . لا يمكن نقضه). فلنسلم بما كتبه الله لنا . . أو علينا . . فالخيرة فيما اختاره الله (تعالى).

●●●

وعندما يدرك الطرفان مسئوليتهما . . مستشعرين أن هناك إلهًا عزيزًا حكيمًا . . قادرًا . . هما معًا مسئولان بين يديه (سبحانه) على ما قالا وما

فعلا . . عندما يدركان ذلك . . تتراجع مشاعر الكراهية . . وتتضاءل أحجام المصالح الشخصية . . ثم يعطي كل طرف رفيقه حقه في الاهتمام والرعاية . . ما دام ذلك سيبقى رصيداً في يوم تجد فيه كل نفس ما عملت من خير محضراً .

●●●

أجنحة صغيرة تتكسر

تحت هذا العنوان يقول باحث نفسي محذراً :

(يحول الشجار العائلي طاقة المودة بين الزوجين إلى طاقة مدمرة تسحق بين شقيها المتحجرين نفسيات الأنباء في مراحل التكوين .

حين يتحول الزوجان إلى حجري طاحون : يدوران بالكراهية :

أحدهما ضد الآخر .

فتتوالد عن دورانهما الأصم شرارات . . تشعل مزيداً من الكراهية .

وتسحق أو تحرق بينهما أجنحة صغيرة . لكائنات جميلة غالية .

تتأهب للطيران في الغد القريب ـ هم الأطفال ـ ويتحول زوجان ـ جمعهما الحب يومًا ـ إلى حجرين مدمرين) .

●●●

وتظل مسئولية الرجل أكبر وأعظم . . هذه المسئولية التي تكل إليه إنقاذ السفينة من الغرق . . وتلك هي تكاليف الدرجة التي كان بها . فرط البيت ورائده . . القادر على حسم الأمور لتستقر الحياة وتستمر :

﴿ فلا تميلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فتذَرُوهَا كَالْمُعلَّقَة ﴾ [النساء : ١٢٩] .

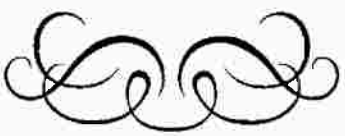

أبغض الحلال

من بعيد.. يعجبك صف النخيل ﴿بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيد﴾ [ق: ١٠]. لا ترى فيهـا عوجًا ولا أمتًـا. يغريك هذا الجمال: جـمال التناسق. والنظام. والعناقيد المدلاة تمنح الناس من لدنها رطبًا جنيًا..

ولكنك تقـترب من النخيل.. فـإذا بك أمام نتـوءات.. وعوج.. لم ترها من مكانك البـعيد.. ومن ثم.. تـتراجع نسبـة الإعجـاب لديك أمام واقع صارم كان بالأمس حلمًا جميلاً.. ثم يصبح اليوم همًا ثقيلاً.

●●●

وفي دنيا الزواج يحدث مثل هذا:

فقد ترى الرجال كالنخل.. وما يدريك ما الدخل!!

وقد ترى فتـاة أحلامك وردة فيحاء في بسـتان مورق.. لكنك تدخل البستان.. فإذا هو على غير ما كان في الحسبان!!

ومن هنا.. وبعد الزواج تبدأ الخلافات التي تسـتحيل أزمات لا تنتهي إلا بعملية جراحية هي: الطلاق.

●●●

ولكن.. إذا كـان هناك مـا هو «أحل».. ومـا هو «حـلال» فـإن في شريعتنا الغراء ما هو أبغض الحلال:

«أبغض الحلال إلى الله الطلاق» (١).

وإذا كان «الأحل» يمثل العمق.. يمثل الوسط المحميَّ من الدائرة.. فلا

---

(١) رواه أبو داود وابن حبان. والحاكم وصححه.

تطوله يد الانحراف. . فإن «الحلال» ما ابتعد عنه. . في اتجاه منطقة الحرام. .

أما «أبغض الحلال» فهو المتاخم لحدود الحرام. . ويوشك مرتكبه أن يسقط في بؤرة هذا الحرام. . من أجل ذلك كان أبغض الحلال إلى الله (تعالى). .

●●●

ضرورة الطلاق

وإذ يقرر الطبيب ضرورة إجراء العملية الجراحية بعد استنفاد العلاج بالمضادات الحيوية «فإن الإسلام يسمح بالطلاق بعد تخطي كل مراحل الإصلاح. . وبعد بذل الجهود المنتهية بالفشل.

يقول ابن قدامة في «المغني»:

(والعبرة دالة على جوازه:

فإنه ربما فسدت الحال بين الزوجين. . فيصير بقاء النكاح مفسدة محضة. وضررًا مجردًا: بإلزام الزوج النفقة. والسكن. وحبس المرأة مع سوء العشرة)[1].

وإنها لواقعية الإسلام الحكيمة الرحيمة. . في اللحظة التي صارت القلوب فيها:

مثل الزجاجة: كسرها لا يجبر!

وفي الوقت الذي يقول الصاحب لصاحبه بلسان الحال:

أيها العائد المسائل عنا وبودِّيك لو ترى أكفاني!

---

(١) «المغني» (٨/ ٩٦).

والفضل ما شهدت به الأعداء

وقد صحا المفكرون الغربيون أخيراً.. على حقيقة طالما جادلوا فيها.. فأذنوا في الناس بأن الطلاق رحمة مهداة ونعمة مسداة:

قال «بيتام» أحد رجال القانون الإنجليزي:

(لو وضع مشرع قانوناً يحرم فض الشركات. ويمنع ولاية الأوصياء. وعزل الوكلاء. ومفارقة الرفقاء.. لو وجد هذا القانوني.. ماذا يحدث؟

سوف يصيح الناس أجمعون: إنه غاية الظلم. واعتقدوا صدوره من معتوه. أو مجنون!

فيا عجبًا!!!

إن هذا الأمر - إن هذا القانون المزعوم - والذي يخالف الفطرة. ويجافي الحكمة. وتأباه المصلحة. ولا يستقيم مع أصول التشريع.. هذا الأمر تقرره القوانين بمجرد التعاقد بين الزوجين في أكثر البلاد المتمدنة!

وكأنها إبعاد الناس عن الزواج؟!

فإن النهي عن الخروج من شيء نهي عن الدخول فيه!

وإذا كان وقوع النفرة واستحكام الشقاق والعداء ليس بعيد الوقوع بين الزوجين.. فأيهما خير؟:

أن نربط الزوجين بحبل متين.. لتأكل الضغينة قلبيهما.. ويكيد كل منهما للآخر..

أم حل ما بينهما من رباط.. وتمكين كل منهما من بناء بيت جديد على دعائم قوية؟

أوليس استبدال زوج بآخر.. خيراً من ضم خليلة إلى زوجة مهملة.. أو عشيق إلى زوج بغيض) أ.هـ.

ألا إن إنهاء العلاقة حينئذ بالطلاق هو خير وأهدى سبيلاً من حياة الشتات والضياع..

﴿وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته﴾ [النساء: ١٣٠]

ويبقى أن يحسن الرجال استغلال هذه الرخصة المواتية..

وإذا كنا نحسن الظن بكثير من العقلاء.. الذين قد يكرهون لكنهم لا يظلمون.. فإننا باسم الإسلام نحذر الذين يتلاعبون بهذا الميثاق الغليظ.. على حساب أطراف أخرى هي التي تدفع ثمن هذا التلاعب.. حين يظن الزوج أنه ذلك العصفور الطليق والذي ينتقل من فنن إلى فنن.. بحيث يصعب اصطياده.. هذا الصنف الذي عناه القائل:

(يا عجبًا من لئاس:

أكرمهم الله بالعقل.. وخاطبهم بشرائعه. وأحكامه.. وجعلهم أهلاً لجميع التصرفات. وقوّامًا على زوجاتهم وأولادهم. ثم يأبون هذا التكريم. ويعلنون أنهم ليسوا موضعًا لهذه الثقة. ولا أهلاً لهذه القوامة. وأنهم في حاجة إلى فرض رقابة قضائية عليهم. عند الرغبة في إنهاء العلاقة بينهم وبين زوجاتهم) أ.هـ.